الدرس الخمسون: خلق الحياء

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة رائعة للسلف الصالح، حيث جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم، فقال: يا إمام أريد أن أتوب وأن أترك الذنوب، وإذا بي أعود إليها، دلني على أشياء تعصمني فلا أعصي الله.

فقال له إبراهيم بن أدهم: إن أردت أن تعصي الله فلا تعصه على أرضه! فقال الرجل: فأين أعصيه؟ قال إبراهيم: خارج أرضه!! فقال الرجل: كيف يا إمام والأرض كلها لله؟ فقال إبراهيم: أما تستحي أن تكون الأرض كلها لله وتعصيه على أرضه؟

ثم قال إبراهيم: وإن أردت أن تعصيه فلا تأكل من رزقه! قال الرجل: فكيف أحيا؟ فقال إبراهيم: أما تستحي أن تأكل من رزقه ثم تعصيه؟

ثم قال إبراهيم: فإن أبيت إلا أن تعصي الله فاعصه في مكان لا يراك فيه!

فقال الرجل: وكيف ذلك وهو معنا أينما كنا؟ فقال إبراهيم: أما تستحي أن تعصيه وهو معك قريب منك؟

ثم قال إبراهيم: فإن أبيت إلا أن تعصي الله، فان جاءك ملك الموت ليأخذ روحك فقل له: أنظرني حتى أتوب!! فقال الرجل: ومن يملك ذلك!؟

فقال إبراهيم: أما تستحي أن يأتي ملك الموت ويأخذ روحك وأنت على المعصية؟ ثم قال إبراهيم: فإن أبيت إلا أن أن تعصي الله، فإذا جاءتك زبانية جهنم يأخذونك إلى النار فقل لهم: لن أذهب معكم. فقال الرجل: وكيف ذلك يا إمام!؟

فقال إبراهيم: أما تستحي من الله بعد كل هذا!!؟ (48).

أخي الحبيب، الحياء خلق نبيل يحول بين من يتمتع به وبين فعل المحرمات وإتيان المنكرات، ويصونه من الوقوع في الأوزار والآثام، وهو كذلك الامتناع عن فعل كل ما يستقبحه العقل ولا يقبله الذوق السليم، والكف عن كل ما لا يرضى به الخالق والمخلوق، فإذا تحلى المسلم بهذا الخلق، صحت سريرته وعلانيته، وعامل الخلق بما يرضاه مولاه، وكذلك فإن هذا المسلم الحيي لا يقبل إلا الحلال من كل شيء وفي المطعم، والمشرب، والملبس وغير ذلك كما يعد الحياء دليلا صادقا على مقدار ما يتمتع به المرء من أدب وإيمان، عَنْ سَالِمٍ عَنْ أبيهِ: سَمِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ فَقَالَ:**"الْحَيَاءُ مِنْ الْإِيمَانِ -**[1].

ولقد حثت الشريعة الإسلامية المسلمين على التحلي بفضيلة الحياء وبيَّنَ النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الخلق الشريف هو أبرز ما يتميز به الإسلام فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**"إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإسلام الْحَيَاءُ -**[2].

وإذا استحكم خلق الحياء في نفس المسلم، صده عن كل قبيح وقاده إلى كل أمر حسن طيب، والحياء لا يأتي إلا بخير، أما إذا ضعف هذا الخلق فلن يحل محله إلا السفه والوقاحة والفحش، ويجد الإنسان نفسه أمام أبواب مفتوحة من السوء والمنكر فينزلق إليها.

وإذا كان الحياء من الناس حسنا، فإن الأحسن منه كثيرا أن يكون الحياء من الله تعالى لأنه يمنع الإنسان من المعاصي دائما، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**"اسْتَحْيُوا مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لله، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا**

(1) (صحيح) أخرجه (م) 36.
(2) (صحيح) أخرجه (هـ) وحسنه الألباني في ص.ج 2149.

مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ -[1] (48).

يقول فضيلة الدكتور عبد العظيم بدوي : هكذا بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حقيقة الحياء من الله تكون بمجموع هذه الأمور التي ذكرت في الحديث، وأن من ترك منها شيئا نقص حياؤه على قدر ما ترك منها.

وأول هذه الأمور: حفظ الرأس مجملا بالتنزه عن الشرك، فلا يضع رأسه لغير الله ساجدا، ولا يرفعه على عباد الله تكبرا، وتفصيلا: فحفظ الرأس معناه: أن يحفظ رأسه وما وعاه من الحواس كالفم واللسان، والعين والأذن. فحفظه الفم يكون باجتناب أكل الحرام وما فيه شبهة، وأكل الحرام يمنع قبول الدعاء، وأما اللسان فإمساكه عن الحرام والشر واجب، فبتجنبه الكذب، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، وبه يكون القول على الله بغير علم، وكل ذلك من الموبقات، وأما العين فبحفظها عن النظر لما لا يجوز له النظر إليه، أما الأذن: فحفظها يكون بترك الاستماع إلى الخنا والفجور، وبترك الاستماع إلى القينات والمعازف، وبترك الاستماع إلى كل ما حرم الله الاستماع إليه، فإن المسلم مخاطب بتغيير المنكر إذا رآه أو سمعه، فإذا استمع الإنسان للمنكر ألفه قلبه، حتى لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.

ويدخل في حفظ الرأس حفظه عن نظر من لا يجوز له النظر إليه، وأما حفظ الفم، فلا يدخل فيه حرام وما فيه شبهة.

وأما ما حواه البطن فالمراد به الفرج، وحفظ الفرج قد أمر الله به فقال:{**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**} [النور:30 - 31].

ومما يحزن القلب تساهل المؤمنات في الذهاب إلى الأطباء الرجال لأتفه الأسباب، وتمكينهم من الكشف على العورة المغلظة والنظر إليها ولمسها من غير ضرورة. فاتقين الله معشر المسلمات، واحفظن

(1) (حسن) أخرجه (ت)3790 وحسنه الألباني.

فروجكن، واعلمن أن الحياء والإيمان قرناء، إذا رفع أحدهما رفع الآخر!.

ومن حقيقة الاستحياء من الرب: ذكر الموت، لأن من ذكر أن مآله للموت والفناء، هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة، وأهمه ما يلزم من طلب الآجلة، ومن أراد الآخرة أي الفوز بنعيمها ترك زينة الدنيا، ومدح الحافظين فروجهم فقال:{وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [الأحزاب:35].

إخوتي في الله، هناك فرق كبير بين الخجل والحياء، فالخجل يعرّفه علماء النفس بأنه: ارتباك نتيجة موقف، كسؤال المعلم للطالب.. فتجد الطالب يخجل ولا يستطيع عرض رأيه بوضوح، فالخجل ناتج عن جبن، عن خوف.. فالشخصية الخجولة شخصية ضعيفة.. يرى حقه مهضوما ولا يطالب به، ولكن الحياء عكس ذلك تماما.. فإن الحياء ناتج عن شخصية قوية، شخصية تستشعر قيمتها فهي كريمة.. تستعلي أن تفعل القبائح (48).

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :"**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ** -[1].

أي أن الإيمان يتكون من بضع وستين شعبة من تجمعت فيه صار مؤمنا، ونلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر هذه الشعب ولكنه ذكر الحياء فقط.

سبحان الله!!! انها لدلالة صريحة على أن الحياء سيأخذ بيدك للبضع والستين شعبة، فإن كنت حييا انضبطت معك بقية الشعب (48).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ☻ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :"**الحَيَاءُ والإيمان قُرناءُ جَمِيعًا فَإِذَا رُفِعَ أَحَدِهِمَا رُفِعَ الآخَرُ** -[2]

سبحان الله!!! إنها دلالة صريحة على أن الحياء جزء أساسي من

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 9، و(م) 58 واللفظ لمسلم.
(2) (صحيح) أخرجه (ك) وصححه الألباني في صت 2636.

مكونات الإيمان، كما أنه قرين للإيمان إذا رفع أحدهما رفع الآخر.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *